الفصل الرابع

٤ - الملائكة وبقية المخلوقات

في الفصل الماضي بينت العلاقة بين الملائكة وبني آدم ، وليس هذا كل ما وُكل إلى الملائكة ، فإن الملائكة يقومون على مختلف شئون الكون مما نشاهد وما لا نشاهد .

وسأكتفي بذكر بعض ما جاء في ذلك من النصوص .

حملة العرش :

العرش أعظم المخلوقات محيط بالسموات وفوقها ، والرحمن مستوٍ عليه ، ويحمله من الملائكة ثمانية (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية)[1] .

ملك الجبال :

وللجبال ملائكة ، وقد أرسل الله ملك الجبال إلى عبده ورسوله محمد ـ ﷺ ـ يستأمره في إهلاك أهل مكة ، ففي صحيحي البخاري ومسلم عن عائشة أنها قالت للنبي ـ ﷺ ـ : (هل أتى عليك يوم كان أشدُّ من يوم أحد ؟ قال : لقد لقيت من قومك ما لقيت ، وكان أشدُّ ما لقيت منهم يوم العقبة (مكان بمنى) ، اذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن كلال ، فلم يجبني إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي ، فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب (موضع قرب مكة) فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني ، فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا به عليك ، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، فناداني ملك الجبال فسلم علي ، ثمَّ قال : يا محمد ، فقال ذلك فيما

---

(١) سبق أن بيّنا عظيم خلقهم في الفصل الذي تحدثنا فيه عن صفاتهم وقدراتهم .

شئت ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين (جبلا مكة أبو قبيس والأحمر وجبلا منى) . فقال النبي ـ ﷺ ـ : (بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً) .

الموكلون بالقطر والنبات والأرزاق :

يقول ابن كثير في (البداية والنهاية : ١/٥٠) وميكائيل موكل بالقطر والنبات اللذين يخلق منهما الارزاق في هذه الدار ، وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربه ، يصرفون الرياح والسحاب كما يشاء الرب جلَّ جلاله . وقد روينا أنه ما من قطرة تنزل من السماء إلا ومعها ملك يقررها في موضعها من الأرض .

ومن الملائكة ما هو موكل بالسحاب ، ففي سنن الترمذي عن ابن عباس أن الرسول ـ ﷺ ـ قال : (الرعد ملك من ملائكة الله ، موكل بالسحاب ، معه مخاريق من نار ، يسوق بها السحاب حيث شاء الله) صحيح الجامع (١٨٨/٣) ، وقد يسقي بلاداً دون بلاد ، أو قرية دون أخرى ، وقد يؤمر بأن يسقي زرع رجل واحد دون سواه كما في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي ـ ﷺ ـ قال : (بينا رجل بفلاة من الأرض ، فسمع صوتاً في سحابة يقول : اسق حديقة فلان ؛ فتنحى ذلك السحاب ، فأفرغ ماءه في حرّة ، فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله ، فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته ، فقال له : يا عبد الله ما اسمك ؟ قال : فلان ، للاسم الذي سمع في السحابة ، فقال له : يا عبد الله لم تسألني عن اسمي ؟ قال : إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول : اسق حديقة فلان ، لاسمك ، فما تصنع فيها ؟ قال : أمَّا إذ قلت هذا ، فإني أنظر إلى ما يخرج منها ، فأتصدق بثلثه ، وآكل أنا وعيالي ثلثاً ، وأرد فيها ثلثاً) .

وعلى كل فالملائكة موكلون بالسموات والأرض ، فكل حركة في العالم فهي ناشئة عن الملائكة ، كما قال تعالى : (فالمدبرات أمراً) ، (سورة النازعات / ٥) وقال (فالمقسِّمات أمراً) ، (سورة الذاريات / ٤) ويزعم المكذبون للرسل المنكرون للخالق أن النجوم هي التي تقوم بذلك كله وكذبوا ، فالذي يدبر ذلك كله الملائكة بأمر الله تعالى ، كما قال : (والمرسلات عرفاً ، فالعاصفات عصفاً والناشرات نشراً ، فالفارقات فرقاً ، فالملقيات ذكراً) ، (سورة المرسلات / ١-٥) .

وقال (والنازعات غرقاً ، والناشطات نشطاً ، والسابحات سبحاً ، فالسابقات سبقاً ، فالمدبرات أمراً) ، (سورة النازعات / ١-٥) وقال (والصافّات صفاً ، فالزاجرات زجراً ، فالتاليات ذكراً) ، (سورة الصافات ١-٣) .

فكل هذه الآيات حديث عن الملائكة حال قيامها بتدبير شؤون السموات والأرض .